أبو الحسن علي الحسني الندوي

رسالة
سيرة النبي الأمين
إلى
انسان القرن العشرين

ـ الناشر ـ
المجمع الاسلامى العلمى
ص ـ ب ١١٩ ، ندوة العلماء
لكناؤ (الهنـــد)

www.abulhasanalinadwi.org

من مطبوعات « المجمع الاسلامى العلمى » ـ لكناؤ (الهند)

رقم - ٢٦٦

الطبعة الاولى

١٤١٧هـ - ١٩٩٦م

المطبعة الندوية

ندوة العلماء ـ لكهنؤ (الهند)

www.abulhasanalinadwi.org

كلمـــة المجمع العـــلمى

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله محمد و على اله و صحبه اجمعين وبعد .

فان العالم المعاصر رغم تقدمه العلمى ورقيه الحضارى الذى يتولاه الغرب منذ ثلاثة قرون أصبح يعيش فى حالة جاهليـة كاملة فى سيرة أبنائه الذاتية وسلوكهم الاجتماعى ومنهج حياتهم الدينية فنرى أبناء العصر الحالى يعيشون فى بحبوحة من العيش و فى رغد من الحياة و ذلـك بالوسائل العظيمة التى تهيئ الراحة و المتعـة للحياة بتاثير منجزاتهم العلمية و التكنولوجية ، و لـكنهم بالنسبة إلى أحوالهم فى سيرتهم الذاتية وأخلاقهم الفردية صاروا أمثال البهائم و منهـا الوحوش و منها الحيوانات الضعيفة ، و لـكنها كلها لا تهتم إلا بمصالحها الذاتية السطحية مثل الأكل والشرب ، و طلب الراحة و اظهار القوة و الغلبة على الآخرين ، إن الحيوان يخدم مالكه من الصباح إلى المساء يدور حول الرحى ليديرها مثل الماكينة

www.abulhasanalinadwi.org

وينـال من مالكه الطعام و الشراب فى الوقت الذى يحتاج اليهما ، ويتناحرمع زميله عندما يتدخل زميله فى أكله أو يدخل فى مبركه أو مريضه كذلك ، فان الانسان اليوم رغم تقدمه العلمى ورقيه الحضارى يعمل من الصباح إلى المساء مثل المـاكينة و يا كل ويشرب عندما يحتاج إلى ذلك ويتخذ له مكانا ولايسمح لغيره أن يتدخل فى موارد رزقه أو يدخل فى موضع اتخـــذه لنفسه ، وينام حينما يتعب من عمله ، ولايهتم فى ما سوى ذلـك إلا بمـا يلذه ويمتعه من مشاهدة مناظر ، وقضاء وقت فى النوادى المسلية ، إنهـا حياة اتخذها الانسان الراقى اليوم و لـكنها حياة بهائم لاتختلف عنهـا الابانها هناك مع الجهل والامية و التبعية للانسان و هى هنا مع العلم ورونق المظاهر والاعتماد على الطاقات البشرية وبلقب « الحيوان » الناطق بدلا من لقب الحيوان الاعجم .

إن هذه المشابهة للانسان بالحيوان إنمـا جاءت لاتباعـه للهوى ، وطلب اللذات ، و التجرد من تعليمات الوحى السماوى ، ولقد جاءت رسل الله تعالى لاصلاح هـذا الانحراف و الفساد فآمن بهم من آمن فصلح وحسنت حياته وازدانت بالخير والصلاح ، و كفر بهم من كفر فكان مثل البهائم الضارية أو العابثة ، لقد شهد التاريخ الانسانى هـذه المشابهة بين الانسان و الحيوان فى القرون المـاضية فى حضارة الرومان و اليونان مثلا ، ويشهدها منـذ

www.abulhasanalinadwi.org

قرون فى أحفادهم فى اقطار الغرب و البلدان التابعة للغرب بعد أن كفر هولاء بتعليمات الاسلام التى جاء بها أخيرا رسول الله خاتم النبين محمد بن عبد الله ﷺ ، و آمن به العرب فأقاموا مثالا رائعا للمجتمع الانسانى الفاضل الذى لم يشهد التاريخ البشرى نظيراً له فى الماضى قبله و لا بعده بعد ، أن وقع فى المجتمعات الانسانية انحراف عنها .

لقد القى سماحة الشيخ أبوالحسن على الحسنى الندوى حفظه الله تعالى نظرة وقام باستعراض الحالتين فى كتاب له موسع جليل وأتى فى أخره باستعراض قوى وارشاد مفيد ، رأينا أن نفرد هذا الجزء منه فى رسالة ليكون الاطلاع عليها سهلا لوجازتها ، أدعو الله تعالى أن يجعلها نافعة ويتقبلها من كاتبها و من ناشرها ، و هو على كل شئ قدير و بالاجابة جدير .

١٤١٧/٢/١٧هـ

محمد الرابع الحسنى الندوى
أمين المجمع الاسلامى العلمى
ندوة العلماء لكناؤ

www.abulhasanalinadwi.org

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة سيرة النبي الأمين

إلى انسان القرن العشرين

كلما قرعت آذاننا كلمة « الجاهلية » تمثل أمامنا عفوا عهد القرن السادس المسيحى المظلم ، الذى بعث فيه النبي الأعظم سيدنا محمد ﷺ ، وظهرت أولى معجزات تعاليمه وتربيته وتوجيهه . . فما أن نسمع كلمة « الجاهلية » إلا و تتمثل أمام أعيننا الأمة العربية بخصائصها ومزاياها ، و ملامحها وقسماتها الجاهليـــة ، تلك التى صورها كتابنا فى موضوع السيرة .

لكن « الجاهلية » لا تختص بذلك العهد ، فكل عهد يعتبر عهد الجاهلية لدى الاسلام إذا حرم هداية الوحى الالهى و نور النبوة ، وتغاضى عن تعاليم الزنبياء وتنكر لها بعد أن تبين له الهدى ، أو لم يحظ به بتاتا ، و لا فرق فى ذلك بين جاهلية القرن السادس المسيحى العالمية ، أو القرون الوسطى فى تاريخ أوربا ،

www.abulhasanalinadwi.org

التى تعرف فى الأغلب بالقرون المظلمة (العصور المظلمة) أو عهد الحضارة و الرقى الزاهر فى القرن العشرين الذى نجتازه .

يصرح القرآن الكريم أن النور فرد ، و مشكاته واحدة ، « الله نور السماوات والأرض » والظلمات لا حد لها و لا نهاية ، و لو لم يتجل النور الالهى (الذى يأتى عن طريق الأنبياء والرسل وحدهم) لخيم على العالم من الظلمات المتراكمة ما لا يحصى و لا يقاس ، و لأظلمت كل مرحلة من مراحل الحياة ، وعمت الظلمة وطمت ، وتراكمت وتكاثفت .

« كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ، ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ، و من لم يجعل الله له نورا فما له من نور (١) » .

و كلما يذكر القرآن الكريم النور و الظلمة متقارنين ، يذكر النور فردا و الظلمة جمعا ، مما يدل على أن الظلمة أنواع وأشكال ، و أما النور فهو واحد ، ولو لم يسطع هذا النور الالهى لما استطاع نور صناعى أن يشق هذه الظلمات الحالكة المطبقة ، و لكان العالم البشرى كمقبرة مظلمة مترامية الأطراف ، ليس فيها منفذ من نور ، و لم يكن ليستضئ مهما أوقد الموقدون « شموعا

---

(١) النور : ٤٠

www.abulhasanalinadwi.org

صناعية » ذات أضواء قوية قاهرة ، ساطعة باهرة » .

« أو من كان ميتا فأحييناه ، وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس ، كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها (١) » .

يبدو و كأن أرض الغرب — التى لا تطلع منها الشمس و إنما تغرب فيها — قلما حظيت بنور النبوة ، وحاول أهلها أن يستعيضوا عنه النور البشرى الصناعى . . إن عهد اليونان و الروم الذهبى لهو العهد الزاهر الرائع جدا فى التاريخ البشرى ، بالنسبة إلى ازاهار العلوم و الفنون البشرية ، لكنه أحلك العهود — كأحلك العهود الجاهلية — بالنسبة إلى تعاليم الأنبياء ، و قد خبطوا خبط عشواء فيما يتعلق بذات الله وصفاته ، و كان عمادهم فى ذلك الظن و التخمين ، و الحرص و الترجيم دون استناد إلى توجيه سديد ، واشراقة مسقيمة « مالهم به من علم ، إن هم إلا يخرصون » ، و لا تقل فلسفتهم و الهياتهم التى دونها حكماؤهم و فلاسفتهم طرافة وخرافة ، من أساطير الشرق والاعيبها وأعاجيبها ، و قد تلمع فى أقوال سقراط و أفلاطون — دون أرسطو — و تعليمات فلاسفة الأخلاق أثارة من تعاليم الأنبياء لمعان اليراعة فى الليلة المطيرة الشاتية ، مما يدل على أن تعاليم الأنبياء قد طرقت

---

(١) الأنعام : ١٢٣

www.abulhasanalinadwi.org

آذانهم فى حين من الأحيان ، لكن هذا النور لم يكن من السطوع والثبات بحيث يمكنهم أن يعولوا عليه فى دياجير الحياة « كلما أضاء لهم مشوا فيه ، و إذا أظلم عليهم قاموا » .

و مما يبعث العجب أن مصباح الهداية الذى أوقده سيدنا المسيح عليه السلام ظل يسطع وينير فى الشرق طوال مدة قرنين ، رغم العواصف الهوجاء ، لكنه خبا فى الغرب فى حضانة المعنيين به والحارسين عليه ، فقد فقدت تعاليم المسيح عليه السلام أصالتها فى الغرب ، حيث حظيت المسيحية لأول مرة بالحكم والسيادة ، وانصب تيار الوثنية والشرك فى نهر المسيحية ، وربما لم تشق ديانة فى العالم البشرى بمتبعيها الجدد ، كما شقيت المسيحية بامبراطور قسطنطين ، و « بولس القديس » (القديس بولس) و بعد ما انطفأ هذا المصباح الالهامى الالهى ، بقى رجال الكنيسة يخدعون العالم المسيحى الغر المفتون بحسن الظن ، بمصابيح صناعية من عند أنفسهم ، وحاولوا أن يؤكدوا للناس أنهم لا يزالون يحتفظون بالنور الكريم الوهاج الذى جاء به المسيح عليه السلام من عند ربه ، والواقع أنه كان قد توارى فى الظلمات المتراكمة المترامية منذ القرون ، وابتلعته الوثنية الرومية المتطرفة :

(مثلهم كمثل الذى استوقد نارا ، فلما أضاءت ما حوله ،

www.abulhasanalinadwi.org

ذهب الله بنورهم ، و تركهم فى ظلمات لا يبصرون)[1] .

و على الرغم من ذلك كله يجب الاعتراف بأن الغرب ظل يسعد بالاعتقاد بالاله ، والايمان بالآخرة ، بفضل المسيحيـــة ، و ذلك لأن الدين السماوى مهما تغير و تبدل ، فانه يجعل الايمان بالله و بالأخرة يجرى فى المؤمنين به مجرى الدم ، و يتغلغل فى أحشائهم ، بحيث لا يمكن نزعه من القلوب نزعا تاما . . هبت فى القرن الخامس عشر و القرن السادس عشر المسيحى فى أوربا ريح العقلانية بل المـادية العاتية ، التى وضعت الغرب عـــلى طريق المادية الجامحة فى صورة جوفاء ، و على طريقة عمياء ، ودرج عليه الغرب وقطع أشواطا بعيدة ، فعـاد أسلوبه للحياة و التفكير لا يقبل الاله و الآخرة ، إن الغرب كله لم يعلن كفره بالاله أو رفضه لعقيدة الآخرة نهارا وجهارا ، لكن أسلوب حياته الذى يعيشه لا ينم عن الايمان بالاله و الآخرة ، ويصح اليوم أن نقول : إن أوربا لا تدين بالمسيحية و إنمـا تدين بالمادية ، و قـــد ظلت الوثنية ديانة أوربا قرونا ، و تدعى الآن منـــذ مـــدة طويلة أنهـا تدين بالمسيحية ، لكنها لم تخلص لهـا ، و لم تحرص عليها ، و لم تبذل لها حبها و ودها كما صنعت هـــذه الديانة (المادية) و كنائس هذه « الديانة » الجديدة ومعابدها — المصانع و مراكز

---

(١) البقرة : ١٧

www.abulhasanalinadwi.org

الصناعة و التجارة ، و المتنزهات — غنية ليل نهار ، آهلة فى كل حين وآن ، و رجال هذه الديانة — هم أصحاب رؤوس الأموال ، و المليونيرون — ينظر اليهم نظرة الاجلال والاكبار ، بل يقدسون و يعبدون ، و بالعكس من ذلك أصبحت المسيحية فى الغرب ظلا شاحبا .

و قد ظهر — و لا يزال — فى الغرب جميع ما هو نتيجة منطقية لهذا التناسى للذات و لهذا الأسلوب من الحياة ، و أولى هذه النتائج الوخيمة بأن الانسان الغربى تنكر للاله الأحد الصمد ، وعاد يتضرع إلى مئات الآلهة ، قد رفع جبهته من عتبة واحدة — كان فيها له غنى عن كل العتبات — وبدأ يطرح على كل عتبة ، و تلك هى عاقبة محتومة لكل من تنكر للاله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، وهؤلاء الأرباب من دون الله « قد تسلطوا على الغرب فى عدد لا يحصيه الا الله ، وغلبوا على الغرب أمره ، فلا يجد من دونهم موئلا ، و هذه الأصنام أشكال و ألوان ، تتمثل حينا فى الزعيم السياسى ، وحينا آخر فى اله الاقتصاد ، و فى مكان هى التزامات وقيود ، ومستوى الحياة التى افترضها الانسان ، وتبناها ، و فى مكان آخر واجبات و ضروريات ، التزمها الانسان بنفسه ، و هذه الأصنام بمجموعها قد ضيقت الخناق على عبادها ، و أرغمتهم على عبادة ، تجعل

www.abulhasanalinadwi.org

عبادة الله مقابلتها أيسر وأحلى منها آلاف المرات ، و تعاملهم معاملة شاقـــة قاسية ، دونها معاملة الانسان مع المجسماوات والآلات الصماء ، وتضطرهم إلى تضحيات هائلة ما قام بهـا أحد من قبل لصنم أو إله ، وهناك صراع مرير بين أغراض هؤلاء الأرباب من دون الله ، ومطامعهم وأهوائهم ، جعل العالم يقوم ويقعد ، و من بين هؤلاء الأصنام الكثيرة المتنوعة صنم « الوطنيـــة » الذى يتطلب لنفسه قرابين النفوس البشرية والدماء الانسانية ، و من بينها صنم « المعدة » الذى عكف على عبادته انسان القرن العشرين ، و لا يبرحها ، و لا يحول عنها ، لكنه لا يكاد يرضى عنه بأى كمية من التضحية و العبادة ، و قد أجاد (المستر آليورلاج) حيث قال قبل مدة فى محاضرته :

« أصبحت بساطة الحياة حلما من الأحلام ، و لا يهم أحدا غرض كريم ، و فكرة سامية و أصبح كل من الناس يدور حول مصنعه أو مكتبه ليل نهار كثور الطاحون ، و يخدمه خدمة العبيد ، و أدى اختراع المراكب السريعة إلى أن أصبح انسان القرن العشرين دوامة لا هدوء لهـا و لا قرار » .

و أدى تقصير الانسان فى جنب الله إلى أنه وقع فريسة التناسى للذات ، و قـد صرح القرآن أن ذلك عاقبة محتومة لمن نسى الله ، وطوى عنه كشحا :

www.abulhasanalinadwi.org

« و لا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم[1] » .

حقا ان انسان القرن العشرين هو نموذج كامل للتناسى للذات قد نسى حقيقته وخصائصه الانسانية ، وغرضه من هذه الحياة ، و مقصده من وجوده ، وعاد يعيش عيشة البهائم و الجمادات ، وصار ماكينة تصوغ الدولارات التى لا تستطيع هى أن تنتفع بها فى قليل أو كثير ، و بلغ إلى حد أن الراحة البدنية ، و الطمأنينة القلبية التى قد تكون بعض قيمة هذه الجهود و الجهاد ، أصبح لا ينالها فى حياته ، و لا يفكر فيها و لا ينتبه اليها ، و قد صدق البروفيسور (جود) حينما قال :

« يقول (دزرائيلى) ان المجتمع فى عصره يعتقد أن الحضارة هى الراحة أما نحن فنعتقد أن الحضارة عبارة عن السرعة ، فالسرعة هى اله الشباب العصرى ، و أنه يضحى على نصبه بالهدوء و الراحة و السلام والعطف على الآخرين من غير رحمة » .

و قد تغيرت وظيفة هذا الانسان بفعل التناسى للذات ، وبحكم إهماله لحقيقته وحقيقة نفسه ، فتقدم أشواطا بعيدة فى مجال الرقى فى غير دائرته الطبيعية ، و لم يخط خطوة فى دائرته

---

(١) الحشر : ١٩

www.abulhasanalinadwi.org

الانسانية ، و لا تزال خصائصه وأخلاقه وصفاته الانسانية فى انحطاط ، و إذا رحت تحلل الرقى الذى أحرزه الانسان العصرى ، فلن تجـــد الآ أنه عبارة عن بعض فضائل السباع الضوارى ، والطيور ، والأسماك ، و قـــد اعترف الكتاب الأوربيون بهذه الحقائق ، و قد جاء الكثير من شهاداتهم واعترفاتهم فى كتابنا « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » .

و كيف يرجى من الغرب أن يتضرع إلى الله ، ويلجأ إلى كنفه ، ويطرح على عتبته و قـــد بلغ إلى هذا الحد من التناسى للذات ، إنه مصداق صحيح لما قاله الفيلسوف و الشاعر الاسلامى الدكتور محمـــد إقبال فى بيتـــه الفارسى : « إذا نسيت ذاتك و تنكرت لنفسك ، فلماذا تبحث عن محب لك ، عارف بك ؟ إذا لم تتعرف على الانسان و حقيقته ، فأنى لك أن تتوصل إلى الله خالق الانسان وفاطر الكون ؟ » .

أما نسيان الغرب للآخرة ، فأولى نتائجه الطبيعية أنه فتن بالمادية ، وأمعن إلى الحياة الدنيا ، وأخلد اليها ، ونشأ فى قلبه الحرص المجنون الجامح على التمتع بلذائذ الحياة ، و أصبح كل ذلك غاية عليا ، ومقصدا أسمى ، وهدفا أسنى فى حياته ، فتتسامع اليوم من كل جوانب الغرب نداء قويا عاليا إلى الحصول على الخبز ولقمة العيش ، والاهتمام بالمعدة ، و التلذذ بالحياة الدنيا والولوع

www.abulhasanalinadwi.org

بمظاهرها الجوفاء و التمسك بأسبابها ، والحصول على وسائلها ، و لا يصرف فرصة حياته الا فى التنافس فى احراز قصب السبق فى هذا المجال ، و قـد جعلت هذه المسابقة التنافس ، الحياة فى الغرب مضمار الرهان الذى لا نهـاية له ، فهـم فى سكرة من الحياة الدنيا ، لديهم منها عليل لا يشفى ، وغليل لايروى ، و كل يتطلع إلى الجديد المزيد ، ويردد هل من مزيد ، و تتجدد كل يوم ضروريات الحياة وتتنوع وتتكاثر وسائل إشباع متطلبات الحياة وتتكثف ، و قـد ولد كل ذلـك مشكلات مستعصية ، وقضايا معقدة ، و قد أمدها وزاد فى حدتها وشدتها ، التنافس التجارى ، و لا يزال مستوى الحياة يترفع مع الأيام ، و كل يرى الغاية بعيدة ، والمسافة شاسعة ، فأصبحت الحياة قلقـة متبلبلة ، فقدت هدوءها وطمأنينتها من أجل انصراف الهمة كليا إلى اتخاذ الوسائل للحصول على هذه الأمور ، و أضحى الانسان الأوربى فى عذاب من الحرص والطمع والجشع لا ينتهى ، ورهينا للجهـد والسعى للحياة الدنيا الذى لا يكاد يقف عنـد حـد ، وأصبح الصبر والقناعة ـــ اللذان هما اكسير يضفى على القلب طمأنينة وسكينة ـــ كالعنقاء التى يسمع عنها الانسان و لا يراها .

و هذا الحرص على التمتع بالحياة الدنيا ـــ الذى نراه نحن المسلمين جنونا وهوسا ـــ هو كل السعادة والنجاح ، و تمام الحظ

www.abulhasanalinadwi.org

لدى المنكرين للاخرة ، و ذلك أمر طبيعى ، لآن الذى أنكر الآخرة ، وأخلد الى هواه ، واطمأن إلى الحياة الدنيا ، ما الذى يمنعه من التمتع بها ، والفوز بأكبر حظ من اللذة ، واشباع كل نهمة ، وتلبية كل حاجته ، ولماذا يقصر فيما يمكنه من التنعم والتمتع والمرح والطرب ، و من أن يشهد اللذات ويبادرها بما ملكته يداه :

« و الذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام ، و النار مثوى لهم (١) » « ذرهم يأكلوا و يتمتعوا ويلههم الأمل ، فسوف يعلمون (٢) » .

و النتيجة الثانية المشئومة التى تترتب على انكار الآخرة ، هى أن هذه الحياة الدنيا ومطامعها ، و أمتعتها وزخارفها ، والوسائل التى تسعف الانسان فيه ، تتزين فى القلوب ، و تتجمل فى الأعين ، و تتحسن لدى العقول :

« إن الذين لايؤمنون بالآخرة ، زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون (٣) » .

« قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا ، الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا و هم يحسبون أنهم يحسبون صنعا ، أولئك الذين كفروا

---

(١) محمد : ١٢ (٢) الحجر : ٣ (٣) النل : ٤

www.abulhasanalinadwi.org

بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم ، فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً (١) » .

و من نتيجة ذلك ، أن الحياة أصبحت تتميز باللهو واللعب ، وبدأت تفقد عناصر الجد و الحقيقة ، وعادت تشغلها وسائل اللهو والطرب و التسلية و السرور ، و لا يغير فى وضعهم هذا تغييرا ما ، أخطر الساعات العصيبة ، ولايحد من غلوائهم أدهى الأوقات وأمرها :

« وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا ، وغرتهم الحياة الدنيا (٢) » .

و من نتيجته ، أنهم لا يعللون الحوادث والوقائع إلا بالعلل المادية الظاهرة المحسوسة المشهودة ، و لا يتوصلون إلى الأسباب الحقيقية ، و لا يدركون حقيقة الأمر ، و لا يمسون صميم الواقع ، فلا يقع خلل فى امعانهم فى وسائل التنعم و التسلية و اللهو ، فى أدق الساعات وأحرجها ، ويعللون الحوادث بما يشاؤون ، ويسترسلون إلى العلل الجوفاء التى يفترضونها ، و لا يقع تغير ما فى موقفهم وأسلوب حياتهم :

« و لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون ، فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا و لكن قست

---

(١) الكهف : ١٠٣/١٠٥ (٢) الأنعام : ٧

www.abulhasanalinadwi.org

قلوبهم ، وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون (١) » .

و من خصائص إنكار الآخرة وجزائها ، العلو والاستكبار ، فمنكر الآخرة لا يمنعه شئ من الأنانية و التكبر والخيلاء ، لأن الذى يؤمن بقوة فوق قوته و بحياة بعد هذه الحياة ، وبيوم يحاسب فيه العبد على كل صغيرة و كبيرة أتاها فى الحياة الدنيا ، لا يحول بينه وبين أن يكون فرسا جامحا حبله على غاربه ، وانسانا سادرا فى غلوائه ، يصنع ما يشاء ، و يسير على الأهواء ويركب العمياء ، و من ثم قد شفع القرآن الكريم فى أكثر مواضعه ذكر انكار الآخرة بذكر التكبر ، فكأنهما يلزم أحدهما الآخر :

« فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة و هم مستكبرون (٢) » .

وجاء فى معرض الحديث عن فرعون وجنوده :

« واستكبر هو وجنوده فى الأرض بغير الحق ، وظنوا أنهم الينا لا يرجعون (٣) » .

ومثل هذه الأمة ، المنكرة للآخرة ، المؤمنة بالمادية ، يكون بطشها شديدا وضربها موجعا أليما ، وفتحها اذلالا للعباد ، وتدميرا وافسادا للبلاد :

---

(١) الأنعام : ٤٣/٤٢ (٢) النحل : ٢٢ (٣) الشعراء : ١٣٠

www.abulhasanalinadwi.org

« و إذا بطشتم بطشتم جبارين[1] » ، « إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة ، و كذلك يفعلون[2] » .

و كذلك بقى الغرب محروما من الايمان بالرسالة و النبوة ، و قد آمن بالمسيح عليه السلام ابنا لله ، و لكنه لم يؤمن به — فى الواقع العملى — رسولا مطاعا ، وهاديا فى الحياة وقائدا لسفينة النجاة ، كان الامر الأول شيئا اعتقاديا نظريا ، لا يؤثر على الحياة ، و لا يغير فى الأعمال والأخلاق ، والسلوك والعادات ، أما الأمر الثانى — و هو الايمان به كهاد فى الحياة وداع إلى الفلاح و النجاة والاستضاء بسيرته و حياته فى ظلمات الحياة ، واعتباره نموذجا كاملا للسلوك الأمثل — فكان شيئا يغير مجرى الحياة ، لكن الغرب لم يصنع ذلك ، و لم يكن له ذلك سهلا ميسورا ، فلم يكن يعرف الا أحوال خمسين (٥٠) يوما من حياة المسيح عليه السلام ، و هى نبذات متبعثرة لا تعطى صورة واضحة للنبى المبعوث من الله ، فلا تمكن الانسان من الاقتداء ، و لا تيسر له الائتساء ، يقول القس الفاضل الدكتور شارلس اندرسن اسكات فى مقال له فى دائرة المعارف البريطانية ، الطبعة الرابعة عشرة ج / ١٣ ، ص / ٧١٠ :

---

(١) القصص : ٣٩ (٢) النمل : ٣٤

www.abulhasanalinadwi.org

« ينبغى أن يتنازل الانسان عن محاولة وضع كتاب فى سيرة المسيح بكل صراحة فانه لا وجود للمادة و المعلومات التى تساعد على تحقيق هذا الغرض ، والأيام التى توجد عنها بعض المعلومات لا يزيد عددها على خمسين يوما » .

و على ذلك فلو أراد الغرب أن يهتدى هدى المسيح عليه السلام ، و أن يجعل أقواله وأفعاله وتعاليمه وارشاداته ، منارة نور فى طريق الحياة لواجهتهم صعوبات عملية ، و لم يكن عند قادة المسيحية رصيد موثوق به من التراث الدينى يستندون إليه فى قيادة أمة بأسرها ، وتوجيهها ، و لا كانوا يحملون من الألمعية والفراسة الدينية ، و الحكمة الربانية ما يستطيعون به أن يحصروا الأمم الأوروبية الفتية المتوثبة فى نطاق الدين مع التقدم الدنيوى ، والرقى المادى ، فكانت نتيجة ذلك أن امم المسيحية تحررت — فى حياتها العملية — من قيادة المسيح عليه السلام ومراقبة الكنيسة ، وحطمت كل الحدود و القيود التى كانت تمنعها من الانطلاق بحرية ، و بدأت تعيش الحياة كأنها لبست من أمة نبى . . . و ذلك لأنه لم تؤثر تعاليم المسيح الساذجة فى عقولها وقلوبها تأثيرا قويا عميقا ، و لم تتفاعل هى الأخرى معها تفاعلا مطلوبا ، و لم تحظ بالتربية الخلقية ، و التزكية العقلية و النفسية ، التى يتلقاها أتباع الأنبياء والرسل ، فنشأ من ذلك أنها وفرت الوسائل أشكالا وألوانا ،

www.abulhasanalinadwi.org

و لكنها بقيت مجردة عن عاطفة الصلاح ، ونزعة الخير و الرشد ، لأنها لا تتأتى الا عن طريق تعاليم الأنبياء و تربيتهم و اصلاحهم ، و لا تولدها العلوم والا ختراعات والا كتشافات ، فعادت هذه الوسائل والآ لات البريئة — التى كان لهـا أن تكون طريقا إلى سعادة البشرية بنيـــة اخير وحسن استخدامها — وبالا على النوع البشرى ، وطريقاً إلى العـــلو والاستكبار ، والعبث والافساد ، و التدمير والهدم لأن الذين يستخدمونها لا عهـد لهم بالتوجيه الربانى القرآنى الحكيم :

« تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض و لا فسادا ، و العاقبة للمتقين » . (القصص / ٨٣)

و هذا الاستغناء عن الله ، والاعراض عن تعاليم الأنبياء ، ورفض الآخرة ، كل ذلك أدى إلى أن الغرب بينما هو منور مستضئ حتى أصبح ليله نهارا ، إذا هو مظلم حالك حتى ان نهاره ليل ، ويقع فى عهد الرقى و النور كل ما كان من خصائص عهد الوحشية و البربرية ، و كان كما قال الشاعر الاسلامى الكبير المرحوم أكبر حسين الاله آبادى فى بيته الأردى :

« سيسجل القـــلم (قلم المؤرخ) بكل أسف ودهشة أن « الظلمات » كانت سائدة فى « ضوء الكهرباء » .

www.abulhasanalinadwi.org

تاريخية ، فكان الناس يؤمنون على النمط التاريخى وحده ، أن هذا العالم قـــد خلقه الله فى زمن من الأزمان « ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله » ، و لكن هذا الاعتقاد لم يكن يتدخل فى الحياة العملية ، و كانوا يعتسون الحياة كأن الله ليس له وجود — نعوذ بالله من ذلك — أو هو موجود لكنه يعيش فى عزلة ، قد تنازل للآخرين عن سلطته و حكمه .

كانت شبكة عبادة غير الله ، و أرباب من دون الله منبثة فى أرجاء الأرض ، فى مكان تعبـد الأصنام والأوثان ، و فى آخر تعبد العناصر والأجناس والأقوام ، و فى أرض تعبـد الأهواء و الشهوات ، و فى أخرى تعبد القوة و السلطة ، و فى مكان تعبد الملوك والسلاطين ، و فى مكان تعبـــد الأحبار والرهبان ، كان الانسان قـــد نسى هدف حياته ، بدايتها و نهايتها وتغاضى عن الأشغال الأصلية فى الحياة ، وأمعن فى الانتحار التدريجى الأعمال الخاطئة والأشغال التى لا تعينه ، ساد العالم كلـه وضع قاتم من التناسى للذات ، كان رجال الحكومة لا يهمهم الا الظلم والجوار ، والجبر والبطش والاستيلاء والاستبـداد ، وجمـــع الثروة والارستقراطيون فى شغل شاغل من البذخ و التنعم ، و قـــد تنوعت متطلبات الحياة وتكثرت إلى حد كان لا يكفى لا شباعها أكبر قدر ممكن من الضرائب والاتاوات المستحدثة وارتفع مستوى

www.abulhasanalinadwi.org

و هذا الوضع المزرى هو الذى اضطر وزير بريطانيا الأسبق المستر لويد جورج أن يقول لدى وضع الحرب العالمية أوزارها :

« لو بعث المسيح عليه السلام فى هذه الدنيا مرة ثانية ، لما استطاع أن يعيش مدة طويلة ، لأنه سيلاحظ أن الانسان لا يزال — بعد ألفى عام — على حاله من الفتنة والفساد ، والقتل والنهب ، واراقة الدماء والاغارة ، أما اليوم فان جسم الانسانية لا يزال يتقطر دما بعضة أكبر حروب التاريخ ، وخربت الأرض حتى عمت المجاعة ، و ما عسى أن يراه سيدنا المسيح ؟ ، هل يرى أن الانسان يصافح بعضه بعضا بدافع من الاخوة المساواة ، او يرى — عكس ذلك — عكوفا على اعداد و استعد لحرب أكثر ضراوة وقساوة ودمارا من هذه الحرب العالمية ، واقبالا على اختراع آلات أكثر تدميرا وهدما و ابادة ، و التفكير فى أحدث أساليب التعذيب (١) » .

إن العالم المتحضر — فيما قبل ١٣ قرنا ونصف قرن — الذى كان يقوده امبراطوريتا رومة وفارس كان يضاهى العالم الجديد الذى نعيش فيه إلى أبعد مدى ، فقد كان الانسان فى ذلك العالم نسى ربه ، فنسى نفسه بالتالى ، و لم يكن الاعتقاد بالله ، إلا نظرية

---

(١) نقلا من جريدة « سج » الأردية لصاحبها المرحوم الاستاذ الكبير عبد الماجد الدريا بادى

www.abulhasanalinadwi.org

الحياة و المجتمع ، إلى حد أنه لا يعتبر انسانا من لا يتمتع بلوازم الامارة و التزامات الحياة الارستقراطية فكان لا يعامله المجتمع معاملة الانسان ، و كان الانسان يرزح تحت أثقال الحياة ، و يذوب هما وراء كسب الاعتبار والاحترام فيما بين بنى جنسه ، و كان أصحاب الطبقة الوسطى لا تدعهم محاكاة أصحاب الطبقة العليا ومنافستهم للتفكير فى شئ آخر ، — أما الفقراء و الطبقة الكادحة والمسحوقون فكانت ظهورهم مثقلة بألوان الضرائب والأتاوات ، وبأنواع العبودية والرق — كانوا منهمكين فى توفير وسائل اللـذة و التنعم للامراء والحكام واشباع متطلباتهم المشروعة وغير المشروعة كالمجاوات والبهائم فلئن سعدوا بفرصة سانحـة فى وقت ما فانهم كانوا يتسلون بوسائل التسلية المحرمة وأنواع المسكرات لترويح أنفسهم من عنـاء الأشغال وربما لا يوجد فى دولة واسعة رجل واحد يهمه دينـه و آخرته وعقيدته . ويقض مضجعه ذكر الموت ، و كان الشعب البرىء مسحوقا بين حجرى رحى طمع الملوك و رغبتهم الجامحة فى الاستيلاء والاستعباد وتوسيع رقعة الملك والنفوذ فقد غزت امبراطورية فارس دولة الشام المسيحية دون مبرر .

وسقت أرض الله بدماء تسعين ألفـا من النفوس البريئة ، و قد فعلت امبراطورية رومة بامبراطورية « فارس » الأفاعيل — كاجراءات انتقامية وانتصار للشعب البرىء ودامت هذه الحرب الدامية

www.abulhasanalinadwi.org

ستين طوالا من غير غرض سام ، وبدون مبرر كاف ، وظل أبناء الامبراطوريتين العظيمتين المتحضرتين فى العالم ، يتصارعون فيما بينهم ويتعاركون ، ويلغ بعضهم فى دماء بعضهم كالوحوش والضوارى فى الغابة ، فكان العالم كله ظلاما فى ظلام ، وفسادا فى فساد ، وانحطاطا فى انحطاط ، و ذلك كله من أجل صنيع الانسان نفسه :

« ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون » (١) .

وهنالك بعث الله فى أمة أمية تعيش فى عزلة من هذا العالم المتمدن المتداعى المنهار الذى كانت تتوزعه الامبراطوريتان (الشرقية و الغربية) المتحاربتان المتنافستان على قرب من الامبراطوريتين بل فى منطقة متوسطة بينهما — نبيا أميا لكى ينقذ العالم من العذاب الذى بقى يأكله منذ قرون طويلة ، ويحذره من عذاب الآخرة ويخرجه من الظلمات إلى النور ويضع عنه إصره والأغلال التى كانت عليه .

« يأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت

---

(١) الروم : ٤١

www.abulhasanalinadwi.org

عليهم (١) » .

و قد بعث هذا النبي الأمي إلى الامبراطور الرومي « هرقل » رسالة من المدينة المنورة في ٧ه / ٦٣٠ — كانت تتضمن الدعوة الآتية : —

« يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ، ألا نعبد الا الله ، و لا نشرك به شيئا ، و لا يتخذ بعضنا بعضا أرباباً من دون الله » (٢) .

و قد اعترف هرقل بصدق الدعوة لكنه لم يستطع أن يتنازل — بضعف في نفسه وعجز في رأيه — عن الربوبية ، التي كان يتمتع بها ، و على ذلك فلم يسعد بالتخلص من عذاب الحياة الرومية و ويلاتها الا حين طرده المسلمون من ربوع الشام وروما وبدأت تخفق على مروجها الخضراء راية الاسلام ، راية الرحمة والعدل ، والمساواة والحرية تحت ظل التوحيد .

لكن الأمة العربية الأمية المسكينة قد آمنت برسالة النبي الأمي ﷺ فحازت جميع النعم التي كانت نتيجة هذه الرسالة ، ووليدة هذه الدعوة ، تقطعت كل سلاسل عبوديتها تلقائيا ، واستغنت عن جميع العتبات باطراحها على عتبة العبودية لله الواحد القهار ،

---

(١) الأعراف : ١٥٧ (٢) آل عمران : ٦٤

www.abulhasanalinadwi.org

وتحررت من عبوية النفس والسلطان ، وتخلصت من أغلال السيادة والأعراف والتقاليد الجاهلية ، وقيود المجتمع و البيئة الظالمة الخانقة ، والبلايا التى كانت ترزح تحتها من عند نفسها أو بيـــد غيرها ، وتبعثرت عظمة الآلهة الصناعية والأصنام المنحوتة بيـــد البشر ، أمام معرفة الله ، وذاته وصفاته وعظمته ، وجبروته وكبريائه ، وأصبحت الأمـــة العربية البائسة ، الجائعة المنعزلة ، المنطوية على نفسها ، الصفيقة الثياب ، المتزرة بأرديتها البالية — التى لم تتجاوز بواديها وصحاريها ، و لم يكن لهـا عهـــد بمظاهر الزينة و الفخفخة والأبهة — أصبحت تتحدث مع ملوك العجم وسلاطينها حديث الند للند ، وصارت لا تحفل بمظاهر الفخفخة وزينة البلاط العجمى كأن هذه كلها صور ودمى قـــد كسيت ملابس أو زينت بأوراق ألوان متنوعة زاهية ، وعادت واقعية نفاذة إلى الحقيقة ، مدركة للواقع ، فكانت لا تحسب حسابا للظاهر الجوفاء والأشكال الفارغة ، والأبهة الكاذبة ، و لا تحيد قيد شعرة عن مبادئها ومستواها الخلقى الأعلى ، وكانت ترى نفسها مكلفة باخراج عباد الله من عبادة العباد إلى عبادة الله ، وتحطيم ألوهية البشر للبشر فى الأرض (١) .

---

(١) ليرجع إلى قصة ربعى بن عامر وحديثه مع رستم القائد العام للقوات الايرانية ورجل المملكة الثانى ، وحديث المغيرة بن شعبة معه فى « البداية والنهاية » ج/٧ ص/٤٠ و تاريخ الطبرى » ج/٣ ص/٥٢٢ .

www.abulhasanalinadwi.org

و قد تقلبت حياتهم ظهرا لبطن ، بهذا التحول فى نفسيتهم وعقليتهم الذى أحدثه الايمان بالله الواحد القهار ، وافراد العبادة والعبودية له ، فتحولت الرذيلة فضيلة ، وتحول الانسان الضارى ملكا فى صفاته السامية ، وقاطع الطريق حارسا أمينا محافظا على أعراض إخوانه و أموالهم ونفوسهم ، و الذين كانوا يفجرون أنهار الدماء على شئ تافه ، على سقى الماشية مقـــدما أو مؤخرا ، أصبحوا يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ويفضلون الموت عطشا لسقى اخوانهم ، و الذين كانوا يئدون بناتهم بأيديهم عادوا يحتضنون بنات الآخرين و يكفلونهن على الفقر وقلة ذات اليد ، و الذين كانوا يرون أموال غيرهم أموالهم . . صاروا يرون فى أموالهم حقـا للآخرين ، و الذين كانوا يهجمون على الأعراض وينهبون أموال الناس نهـارا وجهارا ، عادوا يدفعون فى الليـــلة الحالكة تاج الامبراطور الايرانى الذهبى الذى كان يقوم بالملايين إلى أميرهم مستورا فى ثيابهم .

و قد وضع الاقبال على الله والآخرة من شدة التهالك على الدنيا ونعيمها ، تلك التى قد ضيقت الأرض على البشر بما رحبت ، وحولت الدنيـا إلى سوق ومتجر . . . وكذلك روح التنافس الطبيعية — التى كانت تشعل باتجاهها المستقيم المواهب الانسانية وتوقظ الطاقات الكامنة فى الانسان ، و التى كانت قـــد حولت

www.abulhasanalinadwi.org

الحياة باتجاهها الخاطئ مضمار صراع لا ينتهى — أيقظت فى الانسان ، باتجاهها إلى الدين ، الأريحية ، والمزايا الانسانية النبيلة الزكية وزكت السيرة ، وهذبت الأخلاق ، وطهرت السلوك والعادات ، فلم تزل روح التنافس تفعل فعلها القوى فى الطبقات الانسانية المختلفة و فيما بين أفرادها المختلفين ، و لكن كان ذلك فيما يتصل بالصلاح والخير ، والحصول على الأجر والثواب ، والطمع فى رضا الله ومغفرته .

شكا الفقراء من الصحابة إلى النبى ﷺ أن الأغنياء قد سبقوهم فى الفوز بالثواب ، فيصلون كما يصلون ، ويصومون كما يصومون الخ . . . و لكنهم يفوقونهم فى الصدقة و الزكاة ، وانفاق المال فى وجوه الخير ، فدلهم رسول الله ﷺ على ذكر يمارسونه ويساوون به الأغنياء بل يسبقونهم ، و ما ان سمع الأغنياء هذا الذكر حتى جعلوا يمارسونه ، فشكا الفقراء إلى النبى ﷺ تخلفهم وسبق الأغنياء فى الأجر والثواب فسلاهم النبى ﷺ :

« عن أبى هريرة رضى الله عنه أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله ﷺ ، فقالوا : ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم ، يصلون كما نصلى ، ويصومون كما نصوم ، و لهم فضل من الأموال ، يحجون ويعتمرون ويجاهدون ويتصدقون ، فقال : ألا أعلمكم شيئا تدركون به من سبقكم ، وتسبقون به

www.abulhasanalinadwi.org

من بعدكم و لا يكون أحـــد أفضل منكم الا من صنع مثل ما صنعتم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : تسبحون وتحمـــدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثا وثلاثين » متفق عليه » وزاد مسلم فى روايته : « فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله ﷺ ، فقالوا : سمع اخواننا أهل الاموال بما ففعلوا مثله ، فقال رسول الله ﷺ : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » .

حولت روح القناعة والعفاف الدنيا كلها جنة ونعيما ، يتمثل فيها معنى « (لا خوف عليهم و لا هم يحزنون) » ، و تآلفت القلوب — من أجل تجرد النفس البشرية من الطمع فى المـال والمنافسة فى الحصول على أسباب الدنيا وحطامها الحقير — وتخالطت وتصافت إلى حـــد تمثل قوله تعالى : « (ونزعنا ما فى صدورهم من غل) » - الذى جاء فى وصف أهل الجنة — فى هذه الدنيا ، وحل الشعور بالمسئولية محل المطالبة بالحقوق ، وعاطفة الايثار محل الطمع والشره ، حتى رأى الناس بأم أعينهم مظاهر « (يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) » ، ورأت السماء فى حيرة واعجاب كيف نوم المضيف الكريم أطفاله يعضهم الجوع ، وأقنع الضيف — باطفاء السراج بحيلة — بأنه يشاركه الأكل فنهض الضيف و قـــد شبع وارتوى ، وبات المضيف مع أهله وأولاده جائعا ، يطوى الأمعاء (١) .

(١) اقرأ قصة أبى طلحة الأنصارى فى كتب الحديث ، وتفسير قوله تعالى « ويؤثرون ★

www.abulhasanalinadwi.org

و هذا التحول ، و الصلاح ، والانقلاب العجيب — فى كل معانى الكلمة — كان وليد الايمان بالله الذى لا إله الا هو ، وتفويض النفس إليه ، و إلى تربية النبى المعصوم ، فتوطدت عرى حياتهم ، ونال كل شئ محله اللائق ، ورجع كل أمر إلى نصابه .

و لكن زهد العالم المسيحى فى هذه الرسالة — نعم قد خضع لها شطره الشرقى بعد قليل ، ودان للنبى الذى جاء بهذه الرسالة و الذين اتبعوه وخلفوه ، و لكن شطره الغربى و الشمالى (أوربا) ظل محروما من نشاطات الدعاة و المجاهدين ، عاش مدة تسعة قرون . . متتابعة فى ظلام حالك ، وجهالة مطبقة ، و قد دعاها بنفسه « القرون المظلمة » وسيبقى هذا العهد الطويل العريض — الذى عاشته أوربا فى وحشية سوداء وجهالة عمياء ، و فى محاربة العقل والمنطق ، والشذوذ عن الفطرة ، والخضوع للاوهام والأحلام ، وتحت إشراف رهبانية قاسية ضارية ، ومراقبة من الكنيسة رجال عنيفة متطرفة ، ومؤاخذة جائرة — حسرة فى قلب أوربا ، وغصة فى حلقها إلى يوم القيامة ، وسيبقى وصمة عار فى جبينها ، ويتندى لها جبينها وينتكس منها رأسها ، و كان كل ذلك نتيجة عبادة العباد للعباد « (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ،

★ على انفسهم ولو كان بهم خصاصة فى كتب التفسير .

www.abulhasanalinadwi.org

والمسيح بن مريم(١)) » .

و لما هبت أوربا فى القرن السادس عشر من غفلتها الطويلة ورقدتها العميقة ، رأت أن العلاج الوحيد الشافى لهذه الأمور كلها ، هو التحرير من عبودية الكنيسة ، لكنها لم تقطع مرحلة « لا إله » كاملة ، وظنت « لا كنيسة » مرادفة ل « لا إله » ففتت الكنيسة وأسقطتها من الحساب ، وسلطت على نفسها آلهة أخرى كثيرة ، و لم يتوصل إلى « إلا الله » ، وظلت تنحت آلهة جديدة — متفادية من الاله الأحد الصمد — عبر ثلاثة قرون من تاريخها الأدق ، وبقيت تمثل « أتعبدون ما تنحتون » ، و لا تزال كارهة لآلهتها القديمة ، ناحتة لآلهة شتى جديدة ، بأسماء طريفة ، وعناوين جديدة ، من « ديمقراطية » و « دكتاتورية » و « رأسمالية » و « اشتراكية » و « وطنية » و « قومية » ، تهوم أوربا وتتيه ، قد تنشر لحمة حياتها وسداها ، و قد تطويهما و قد تبعثر أدوات ساعة حياتها ثم تؤلفها وتضعها فى مكانها ، و لكن بدون جدوى ، عيبت حيلها ، وعجزت آلتها ، أرادت أن تحكم عرى حياتها فتفككت ، و أن توطد أركانها فتقوضت ، و أن تشيد بنيانها فتداعى ، وتحاول أن تقيم الأمور فتتعقد بقدر ذلك ، و بقدر ما تحاول أن تتخلص من المآزق تتورط فيها ،

---

(١) التوبة : ٣١

www.abulhasanalinadwi.org

ولن تجد مخلصا و لا ملجأ من الله الا إليه . . .

ومهما خططت حياتها تخطيطا بارعا ، وعدلت فيها وغيرت ، وحذفت منها وأضافت اليها ، ومهما اخترعت لها عناوين جديدة ، وأشكالا حديثة ، ومهما وزعت مسئولية فرد على أفراد ، أو أسندت مسئولية أفراد إلى فرد من خلاصة الأفراد ، وصفوة الأشخاص الأمناء الشاعرين بالمسئولية ، اؤطوقته بآلاف الحدود والقيود ، وكبلته بآلاف القوانين والضوابط ، فلن يقدم ذلك فى القضية و لا يؤخر — سواء كان المسئول الأمين هو الفرد أم الجماعة ، أو الأمة بأسرها — ما لم يتغير القلب ويخضع صاحبه أمام قدرة قاهرة ، عليمة بصيرة ، هى القدرة الالهية ، و ما لم يخش قلبه مؤاخذة الله ، ومحاسبة الآخرة ، و ما لم يتملك عليه الشعور بالخير والرغبة فى الصلاح ، و النزعة إلى الأمانة . . و ذلك أن الأسماء والعناوين لا تغير فى الحقائق والمفاهيم .

ورسالة السيرة النبوية إلى عالم القرن العشرين — الذى تقوده اليوم أوربا من غير جدارة واستحقاق — أن يفر الضالون عن الله إلى الله ، و أن لا يتخذوا من دونه إلها ، و أن يرتموا فى حضن رحمته ، ويطرحوا على عتبة عبوديته ارتماء الطفل الصغير فى حجر أمه ، واطراح العبد المطبع الخاضع ، الخائف الخاشع على عتبة سيده .

www.abulhasanalinadwi.org

« (ففروا إلى الله إنى لكم منه نذير مبين ، و لا تجعلوا مع الله الها آخر إنى لكم منه نذير مبين[1]) » .

و هى رسالة تخاطب بها السيرة النبوية العالم البشرى كله كل عام ، وترسلها إلى أجزاء العالم ، يحملها الأثير إلى أرجاء العالم ، و البحار على أمواجها ، إلى الأمم و الأقوام ، وجميع الأقطار و البلاد ، ولو هدأت قليلا هذه الضوضاء والضجة التى كدرت على العالم صفو الحياة ، و التى تحول دون سماع العويل والنحيب ، لسمعنا النداء الذى سمعه أهل الكتاب فى فجر الاسلام :

« (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، و يخرجهم من الظلمات إلى النور باذنه ، و يهديهم إلى صراط مستقيم[2]) » .

ان الأنبياء هم مجدفو سفينة البشرية ، و هم الذين قادوها إلى ساحل النجاة عبر التاريخ البشرى ، ومهما تنكر أحد لهذه السفنية ، واستغنى عنها ، وتفاداها إلى « جبل » فان مصيره المحتوم هو مصير ابن نوح الشارد المارد العاتى الطاغى ، الذى قال : « (سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء) » .

فقال له : « (لا عاصم اليوم من أمر الله) » ، و قد

---

(١) الذاريات : ٥٠ — ١٥ (٢) المائدة : ١٥ — ١٦ .

www.abulhasanalinadwi.org

قرر الله بعد بثعة النبي الأعظم خاتم الرسل والأنبياء محمـــد بن عبد الله ، أن سعادة الأمم والأفراد ، و الشرق و الغرب ، والأولين والآخرين ، منوطة بالايمان برسالته ، والاهتداء بسيرته ، والتشبث بذيله ، والتمسك بسنته ، و من اتجه عنه إلى الشرق أو الغرب ، وآوى إلى « جبل » فلن يعود الا بالويل ولن ينـال الا الشقاء ، ولن يستقبله الا البلاد ولن يظلم الانفسه .

أبو الحسن على الحسنى الندوى
ندوة العلماء ـــ لكناؤ ، الهند
١٥ من رجب ١٣٩٩هـ

www.abulhasanalinadwi.org